

الفصل الأول

القسطلاني: حياته وآثاره العلمية*

أولاً / حياته:

اسمه:

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن الزين أحمد الخطيب الجمال محمد بن الصفي بن محمد المجد بن حسين بن التاج علي القسطلاني^(١).

ثانياً / نسبه:

ينسب القسطلاني إلى قسطلية، ذكر الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) أن قسطلية بفتح القاف وكسر الطاء بلد بأفريقيا بالناحية التي تعرف ببلاد الجريد غربي قفصة، والنسبة قسطلاني^(٢)، وقد ذكر محقق كتاب القسطلاني (لطائف الإشارات) كلاماً مفصلاً حول نسبه واستقر بهما المطاف بقولهما: "إذن فقسطلاني فيما نرجح ليست نسبة إلى قسطلّة أو قسطلة، وإنما هي نسبة إلى قسطلية إقليم

★ لقد سبقني في دراسة حياة القسطلاني د. عبد الصبور شاهين وعامر السيد في مقدمة لطائف الإشارات ود. سامي الماضي في مقدمة اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية بدراسة مفصلة ولذلك اعتمدت الإشارة إليهما من دون التفصيل في ذلك.

١- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والكواكب السائرة: ١٢٦/١، والبدر الطالع: ١٠٢/١، والنور السافر: ١١٣، وشذرات الذهب: ١٢١/٨، وإرشاد الساري: ١/١، ومعجم المطبوعات: ١٥١١/٢، وكشف الظنون: ١٨٩٦/٢، وهديّة العارفين: ١٣٩/١، ومعجم المؤلفين: ٨٥/٢، والأعلام: ٢٢١/١.

٢- ينظر التكملة والذيل والصلة: ٢٤٩/٦.

بأفريقيا كما في شرح القاموس، وكما يقرر صاحب الأعلام^(١). وهذا الذي وصلا إليه إنما هو نقل عن الأعلام .

ثالثاً / مولده:

ذكرت المصادر التي ترجمت للقسطلاني أنه ولد في الثاني عشر من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمان مائة (٨٥١هـ) بمصر^(٢).

رابعاً / كنيته ولقبه:

يكنى القسطلاني بـ(أبي العباس)، وأما ألقابه فهي: شهاب الدين، والعلامة، والحافظ، والفقير، والنيب، والمقريء المجيد، والمسند المحدث^(٣).

خامساً / منهجه الفقهي:

ذكرت المصادر التي ترجمت للقسطلاني أنه كان شافعي المذهب^(٤)، نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ).

سادساً / أخلاقه:

لقد وصف القسطلاني بأنه: العلامة والمسند، والحافظ والمحدث والمقريء، والمؤرخ، وغير ذلك، وهذا فيه دلالة على مكانته العلمية وسمو أخلاقه^(٥).

٣- لطائف الإشارات: ١٠/١.

٢- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والنور السافر: ١١٣، وشذرات الذهب: ١٢١/١.

٣- ينظر لطائف الإشارات: ١٠/١.

٤- ينظر نفسه.

٥- ينظر نفسه.

سابعاً / أقوال العلماء فيه:

اعتنى القسطلاني بعلوم الدين والعربية وهذا ما نجده واضحاً فيما كتب وترك لنا من مؤلفات إذ بان فيها اهتمامه بالإسناد والقراءات ومؤلفاته حافلة بموسوعة علمية من المعارف.

قال العلائي (ت ٩٣٠ هـ): **إنه كان فاضلاً محصلاً ديناً عفيفاً وكان قليل العشرة للناس إلا في المطالعة والتأليف والإقراء^(١).**

وقال السخاوي (ت ٩٠٢ هـ): **كان جيد القراءة والحديث والخطابة، شجي الصوت بها، مشارك في الفضائل، ومتواضع لطيف العشرة^(٢).**

وقال عنه الغزي (ت ٩٨٥ هـ): **كان إماماً حافظاً متقناً جليل القدر حسن التقرير والتحرير لطيف الإشارة بليغ العبارة حسن الجمع والتأليف لطيف الترتيب والترصيف^(٣).**

ثامناً / نشأته وطلبه للعلم:

استقر القسطلاني في مصر وذلك بعد أن انتقل إلى ثلاثة أماكن على التوالي هي: مصر، ومكة، والمدينة، ولكن مصر كانت محط الاستقرار حتى انقضاء الأجل.

كانت نشأة القسطلاني في مصر على أيدي مشايخها، فحفظ القرآن والشاطبيتين - اللامية، والرائية - ونصف الجزرية والوردية في النحو.

١- ينظر الكواكب السائرة: ١/١٢٦.

٢- ينظر الضوء اللامع: ٢/١٠٤.

٣- ينظر النور السافر: ١١٥.

تمثل حياته صورة لحياة العلماء في عصره، فهو صورة عن شيوخه الذين أخذ عنهم، سواء في مكة، أم في مصر، أم في المدينة، وكان القسطلاني يؤلف في كل بلد يقطنه فمثلاً ألف حين سكن المدينة المنورة (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)^(١).

تاسعاً / شيوخه:

أخذ القسطلاني عن جملة من العلماء في أصناف العلوم كافة التي كانت تدرس في عصره من علوم الدين والعربية، ونذكر من الذين أخذ عنهم ما توصلنا إليه :

١. الأزهري، خالد بن عبدالله بن أبي بكر المصري الأزهري النحوي (ت ٩٠٥هـ).

٢. الأزهري، عبد الدائم بن علي الأزهري الحديدي (ت ٨٧٧هـ)^(٢).

٣. الأميوطي، أحمد بن أسد الأميوطي أبو العباس المقرئ (ت ٨٧٢هـ).^(٣)

٤. الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري الشافعي (ت ٩٢٦هـ)^(٤).

٥. البامي، محمد بن أحمد الفقيه بن الشهاب المخزومي، الشمس

١ - ينظر أنفسها .

٢ - ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، وترجمته في الضوء اللامع: ٢٤/٤.

٣ - ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والبدر الطالع: ١٠٢/١، وترجمته في الضوء اللامع: ٢٢٧/١.

٤ - ينظر إرشاد الساري: ١/١، وترجمته في الضوء اللامع: ٢٣٤/٣.

البامي (ت ٨٨٥هـ) (١).

٦. البكري، محمد بن عبد الرحمن بن أحمد، ويعرف بالجلال البكري (ت ٨٩١هـ) (٢).

٧. الحمصاني، محمد بن أبي بكر بن محمد، أبو الفتح الشمس ويعرف بابن الحمصاني (ت ٨٩٧هـ) (٣).

٨. الرضي، محمد بن محمد بن أحمد عز الدين الرضي بن المحب القاهري (ت ٨٨٩هـ) أخذ عنه في مكة المكرمة (٤).

٩. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي، أبو الخير الحافظ الشافعي المذهب (ت ٩٠٢هـ) (٥).

١٠. ابن فهد، النجم بن فهد الهاشمي كان حياً (٩٠٩هـ)، من أئمة القراءة

١- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والبدر الطالع: ١٠٢/١، وترجمته في الضوء اللامع: ٤٨/٧.

٢- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والبدر الطالع: ١٠٢/١، وترجمته في الضوء اللامع: ٢٨٤/٧.

٣- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، وترجمته في الضوء اللامع: ١٩٠/٧.

٤- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والبدر الطالع: ١٠٢/١، وترجمته في الضوء اللامع: ١٩٩/٩.

٥- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والنور السافر: ١١٣، وترجمته في الضوء اللامع: ٣٢-١/٨.

والحديث، وقد أخذ عنه في مكة المكرمة^(١).

عاشراً / تلاميذه:

تمثل شخصية العالم من جانبين الجانب الأول أنه قبله يتجه إليها الطلبة حتى ينهلوا من معين علمه، والجانب الثاني ما يتركه من أثر علمي فيما يكتبه وينجزه من مؤلفات، والقسطلاني تمثل عنده الجانبان، فكان له طلبة يحضرون عنده ومنهم:

١. الأجهوري، عبد الرحمن الأجهوري المصري المالكي (ت ٩٦٠هـ)^(٢).
٢. البكري، علي بن محمد البكري، الفقيه المحدث الأستاذ ابن القاضي جلال الدين (ت ٩٥٢هـ)^(٣).
٣. ابن حمادة، أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن حمادة (ت ٩٥٣هـ)^(٤).
٤. العمادي، إبراهيم بن حسن العمادي الشهير بابن العمادي (ت ٩٥٤هـ)^(٥).
٥. ابن فهد، جار الله بن فهد الشيخ الإمام المحدث (ت ٩٥٤هـ)^(٦).

١- ينظر الضوء اللامع: ١٠٤/٢، والنور السافر: ١١٣، وشذرات الذهب: ١٢٢/١،

وترجمته في شذرات الذهب: ٣٠١/٨.

٢- ينظر الكواكب السائرة: ١٦٠/٢.

٣- ينظر نفسه: ١٩٥/٢.

٤- ينظر نفسه: ٩٧/٢.

٥- ينظر الكواكب السائرة: ١٣١/٢، والبدر الطالع: ١٠٣/١.

٦- ينظر الكواكب السائرة: ٩٥/١.

الحادي عشر / آثاره:

ترك القسطلاني تراثاً علمياً حتى صار بعض ما ألف ملازماً له فإذا ذكر الكتاب تبادر إلى الذهن القسطلاني وهو كتابه (إرشاد الساري إلى صحيح البخاري) والقسطلاني كثير التأليف فقد جمعت له كتب التراجم ما يربو على خمسة وثلاثين مؤلفاً ما بين مذكور موجود لم تصل إليه الأيدي ومفقود، ومخطوط، مازال رهين الحبس ومطبوع محقق وغير محقق ومؤلفاته على النحو الآتي:

أولاً: المؤلفات التي ذكرها المترجمون وهي إما موجودة لم تصل إليها الأيدي أو مفقودة، وهي:

١. إمتاع الأسماع والأبصار^(١).
٢. تحفة السامع والقارئ، بختم صحيح البخاري^(٢).
٣. رسالة في الربع المجيب^(٣).
٤. فتح الداني شرح حرز الأمان، وسمّاه الغزي في الكواكب السائرة^(٤).
٥. كتاب الأنوار في الأدعية والأذكار^(٥).

١- ينظر كشف الظنون: ٦٩/١، وهدية العارفين: ١٣٩/١.

٢- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/١، والنور السافر: ١١٣، وشذرات الذهب: ١٢٢/٨.

٣- ينظر الضوء اللامع: ١٠٣/١، والنور السافر: ١١٣، وكف الظنون: ٨٦٧/١.

٤- ينظر الضوء اللامع: ١٠٤/١، وكشف الظنون: ٦٤٧/١، والكواكب السائرة:

١٢٧/١.

٥- ينظر الكواكب السائرة: ١٢٦/١، وهدية العارفين: ١٣٩/١.

٦. مدارك المرام في مسالك الصيام^(١).
 ٧. منهاج الابتهاج لشرح الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج^(٢).
 ٨. يقظة ذوي الاعتبار في موعظة أهل الاعتبار^(٣).

الثاني عشر / كتبه المخطوطة:

١. زهر الرياض، ومنه نسخة مخطوطة في الإسكندرية تحت رقم (٢٠) مواظ^(٤).
 ٢. شرح شمائل الترمذي، ومنه نسخة مخطوطة بينكي بور (٩٨٢/١٥)^(٥).
 ٣. فتح المواهيبي في مناقب الشاطبي، ومنه نسخة بمكتبة برلين تحت رقم (١٠١٢٣)^(٦).
 ٤. مسالك الخفا إلى مشارع الصلاة على النبي المصطفى، ومنه نسخة في

١- ينظر هدية العارفين: ١٣٩/١.

٢- ينظر كشف الظنون: ٥٥٨/١، ومعجم المؤلفين: ٨٥/٢.

٣- ينظر هدية العارفين: ١٣٩/١.

٤- ينظر كشف الظنون: ٩٦٠/٢، وهدية العارفين، ١٣٩/١، ولطائف الإشارات (المقدمة): ١٧/١.

٥- ينظر لطائف الإشارات (المقدمة): ١٧/١.

٦- ينظر كشف الظنون: ١٢٣٥/٢، وهدية العارفين: ١٣٩/١، ومعجم المؤلفين: ٨٥/٢.

أيا صوفيا تحت رقم (٨٩٥)^(١).

٥. مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٦٢٠ز)، وأخرى تحت رقم (١٦٢٧٥ز)^(٢)، وأخرى تحت رقم (٩) مجاميع ٤٥٥.

٦. مقامات العارفين، ومنه نسخة مخطوطة في كوبر يلي رقم (٧٨٤)^(٣).

٧. منهاج الهداية ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٣٨٢٤ب)^(٤).

٨. كتاب الوقف والابتداء وهو موضوع بحثنا.

الثالث عشر / الكتب المطبوعة:

١. إرشاد الساري إلى صحيح البخاري، وهو يقع في عشر مجلدات كبار، ذكره كل من ترجم له^(٥)، وهذا الكتاب به عُرف القسطلاني وهو مطبوع في

١- ينظر كشف الظنون: ١٦٦٢/٢، وهدية العارفين: ١٣٩/١، ولطائف الإشارات (المقدمة): ١٧/١.

٢- ينظر الضوء اللامع: ١٠٤/١، والنور السافر: ١١٤، وكشف الظنون: ٦٨٨/٢، وفهرس المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية: ٤٤١/٤.

٣- ينظر لطائف الإشارات (المقدمة): ١٧/١.

٤- ينظر كشف الظنون: ١٧٤٧/٢، وفهرس دار الكتب المصرية (فؤاد السيد): ١١٢/٣.

٥- ينظر النور السافر: ١١٣، والكواكب السائرة: ٢٦/١، وشذرات الذهب:

٨/٥١٢٢، وكشف الظنون: ٥٣٣/١، ومعجم المطبوعات: ١٥١٢/٢، ومعجم

المؤلفين: ٨٥/٢، والأعلام: ٢٢١/١.

بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٢٣هـ.

٢. اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية^(١)، حققه د. سامي الماضي - رسالة ماجستير - في كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٨ م، وهو مطبوع في دار الطيف بغداد، ٢٠٠٧.

٣. لطائف الإشارات لفنون القراءات^(٢)، في جزأين، الجزء الأول مطبوع بتحقيق عامر السيد عثمان، ود. عبد الصبور شاهين، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٧٢ م.

٤. المستطاب في التجويد المسمّى (هداية القراء)، تحقيق السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٥. المقدمة في الحديث مع شرح نيل الأمان لعبد الهادي الأبياري، وهو مطبوع في القاهرة (د. ت).

٦. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، وهو مطبوع في جزأين في دار الكتب العلمية (د. ت).

الرابع عشر / وفاته:

ذكرت المصادر التي ترجمت للقسطلاني أنّ وفاته كانت في ليلة الجمعة السابع من محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وكانت وفاته أثر صدمة

١- ينظر كشف الظنون: ١٥٦٨/٢، وهدية العارفين: ١/١٣٩.

٢- ينظر كشف الظنون: ١٥٥٢/٢، وهدية العارفين: ١/١٣٩، والأعلام: ١/٢٢١.

عن قتل صديق له، وصُلي عليه بالأزهر ودُفن بالقرب من الجامع الأزهر^(١).

١- ينظر كشف الظنون: ١٥٦٨/٢، وهدية العارفين: ١٣٩/١.